

ابن حيان القرطبي وموقفه من ملوك الطوائف في الأندلس من خلال كتاباته التاريخية
(377-469هـ/997-1067م)

**Ibn Hayyan Al-Qurtubi and his position on the Taifa kings in
Andalusia through his historical writings
(377-469 AH / 997-1067 AD)**



د. قلال فاطمة الزهرة *

¹ جامعة تيسمسيلت أحمد بن يحيى الونشريسي، الجزائر

fz.guellal@univ-tissemsilt.dz

تاريخ الإرسال: 2025/07/23 تاريخ القبول: 2025/09/08

ملخص:

شهدت الكتابة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) تطورًا وازدهارًا كبيرًا بفضل مؤرخين عظام أثروا المدرسة التاريخية بكتاباتهم المتنوعة، وساهموا في تدوين تاريخ الأندلس، ومن أبرز هؤلاء المؤرخين ابن حيان القرطبي (توفي سنة 469هـ / 1076م)، الذي يُعد أعظم مؤرخ أنجبته الأندلس وحامل لواء التاريخ فيها خلال هذا القرن. تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بابن حيان، وتبسيط الضوء على إسهاماته العلمية التي عكست صدى عصره، بالإضافة إلى منهجيته المتميزة في الكتابة التاريخية وموقفه من ملوك الطوائف، الذين رأهم سببًا في تمزق وحدة الأندلس وتحويلها إلى دويلات متناحرة. فلقد قدّمت لنا كتاباته التاريخية صورة حيّة ودقيقة عن تاريخ الأندلس في هذا العصر، وتميّزت آراؤه وتحليلاته بأسلوب متين وفريد ينقل مرارته من الانقسام والضّعف الذي ساد آنذاك.

الكلمات المفتاحية: ابن حيان القرطبي، القرن 5هـ/11م، الأندلس، ملوك الطوائف، الكتابة التاريخية.

Abstract:

Historical writing in Andalusia witnessed a significant development and prosperity during the 5th century AH / 11th century CE. This was thanks to the great historians who enriched the historical school with their diverse writings and contributed to documenting the history of Andalusia. Among the most prominent Andalusian writers and historians was Ibn Hayyan al-Qurtubi (d. 469 AH / 1076 CE), considered as one of the greatest historians produced by Andalusia and the standard-bearer of history there during this century. This study aims to introduce Ibn Hayyan al-Qurtubi and to highlight his scholarly contributions, which reflect the intellectual and political climate of his era. Furthermore, it examines his distinctive methodology in historical writing and his critical perspective on the Taifa kings, whom he regarded as responsible for the fragmentation of al-Andalus into competing principalities. His historical accounts provide a vivid and accurate portrayal of al-Andalus during this era, characterized by analyses and insights presented in a robust and distinctive style that effectively conveys the challenges, divisions, and weaknesses that marked the period..

Key words: Ibn Hayyan Al-Qurtubi; 5th century AH/11th century AD ; Andalusia; Kings of the Taifas ; Historical writing

* المؤلف المراسل قلال فاطمة الزهرة

مقدمة:

يُعتبر عصر ملوك الطوائف من أكثر فترات التاريخ الأندلسي تعقيداً لتداخل أحداثه، وقد أعقب هذا العصر سقوط الخلافة الأموية سنة (422هـ - 1030م) وتمزق وحدة الأندلس إلى دويلات متنازعة. ورغم أنَّ هذا التمزق غالباً ما يُؤدِّي إلى الركود في العديد من جوانب الحياة، فإنَّه في الأندلس أفضى إلى نتيجة مخالفة تماماً؛ فقد شهد هذا العصر إنتاجاً فكرياً لا يُضاهى في العهود التي سبقتة، فعرفت الحياة العلميَّة أوج ازدهارها. لهذا، اعتبر كثير من الباحثين القرن 5هـ/11م العصر الذهبي للحياة الفكرية في شتى مجالات المعرفة، ومنها المعرفة التاريخية، حيث تعاضمت الكتابة في حقولها، وخاصة تلك المتعلقة بدراسة أقاليم ومدن الأندلس بعد التفكُّك الذي عاشته، ما جعل العديد من مؤرِّخي هذا العصر يحرصون على تبيان فضائل الأندلس بنوع من الحنين إلى الخلافة الأموية.

ومن هؤلاء المؤرِّخين، نذكر أبو مروان حيان بن خلف، أعظم مؤرخ أنجبته الأندلس، الذي شكَّل عصر ملوك الطوائف محوراً أساسياً في كتاباته. فقد كان شاهد عيانٍ على الأحداث التي شهدها الأندلس في هذا العصر. ومن هنا تأتي أهميَّة دراسة شخصيَّة ابن حيان القرطبي وموقفه من ملوك الطوائف، وذلك للكشف عن الأوضاع السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة التي عرفتھا الأندلس آنذاك، فكانت دراستنا تحت عنوان: ابن حيان القرطبي وموقفه من ملوك الطوائف في الأندلس من خلال كتاباته التاريخيَّة (377-469 هـ / 997-1067 م). وجاء ذلك بهدف التَّعريف بابن حيان القرطبي والعصر الذي عاش فيه، ولإبراز الدور الكبير الذي لعبه في كتابة تاريخ الأندلس، من خلال التطرق إلى إسهاماته العلميَّة، وبيان قيمة ما قدمه لنا من مادة تاريخيَّة، وتحليل طبيعة موقفه من عصر ملوك الطوائف، وذلك من خلال دراسة رؤيته لهذه الفترة التاريخيَّة، وخاصة أن هذا العصر يعد من أهم عصور تاريخ الأندلس لتأثيره الكبير على مختلف جوانب الحياة فيها، وبناءً على ذلك، نطرح الإشكاليَّة التاليَّة: كيف صور لنا ابن حيان القرطبي عصر ملوك الطوائف من خلال كتاباته التاريخيَّة؟ وتندرج ضمنها مجموعة من الإشكاليَّات الفرعيَّة:

من هو المؤرخ ابن حيان القرطبي؟

ما مدى مساهمته في حركة التدوين التاريخي في الأندلس خلال القرن 5 هـ / 11 م؟

بماذا تميَّزت منهجيَّته في الكتابة التاريخيَّة؟ وما هو موقفه من ملوك الطوائف؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليَّات، استخدمنا المنهج الوصفي والسَّردي عند التعريف بابن حيان القرطبي والعصر الذي عاش فيه، وبيان مكانته العلميَّة بين مؤرِّخي عصره، وعند التطرُّق إلى إسهاماته العلميَّة ومنهجيَّته في الكتابة التاريخيَّة. كما اعتمدنا المنهج التحليلي في تحديد طبيعة موقف ابن حيان من ملوك الطوائف. ومحاولة منا لمعالجة إشكاليَّة الدراسة قسمنا البحث إلى أربعة مباحث:

أولاً: خصائص الكتابة التاريخية في الأندلس خلال القرن 5هـ/11م:

ازدهرت الحركة الفكرية في الأندلس خلال 5هـ/11م ازدهاراً عظيماً ويبدو ذلك واضحاً في عدد من المجالات التي ظهرت سواء الدينية أو العلمية منها، كما يظهر ذلك في العديد من التأليف التي انتجت خلال تلك الفترة، وقد اشتهرت بعض المدن والمناطق بطقها الإنتاجية خصوصاً قرطبة، فعلى سبيل المثال أبرز الشعراء والفقهاء والمؤرخين وغيرهم من المفكرين الأندلسيين ظهوراً في القرن 5هـ/11 بالذات وقد أغنوا بدورهم الحركة الفكرية وساهموا في تقدم المعرفة والفكر بالأندلس، كما كان لهم تأثير في انتشار المعرفة والفكر خارج الأندلس، في المغرب الإسلامي وفي أنحاء أخرى من العالم الإسلامي، كما أدى المستوى الثقافي لعدد من ملوك الطوائف في الأندلس ومكانة الثقافة في السياسة إلى إنعاش هذه الحركة لأن ملوك الطوائف كثيراً ما كانوا يشجعون المثقفين الأندلسيين البارزين (بن عبود، 1987، ص.ص. 222-223) فمن مميزات الكتابة التاريخية خلال هذا القرن نذكر:

- جمع مؤرخي القرن 5هـ/11م بين علوم الحديث واللغة والأدب والشعر والمنطق وغيرها من العلوم وهذا يتجلى بوضوح في شخصية ابن حيان وابن حزم والحميدي

- الاستفادة من المناهج التاريخية السابقة سواء في المشرق أو الأندلس ومحاولة الجمع بينها إن أمكن وهذا ما فعله ابن حيان في "تاريخه الكبير" وفيه استحق أن يكون أعظم مؤرخي الأندلس وأجمعهم.

- طابع التنوع في الكتابة التاريخية في الأندلس من جهة المنهج المتبع، ومن جهة الموضوع فمنهم من كتب في الطبقات والتراجم كالحميدي وصاعد الطليطلي، ومنهم من كتب في إقليم معين فقط كابن حيان القرطبي، ومنهم من تنوعت كتاباته كابن حزم الأندلسي (بن عبود، ص. 225).

- النقد التاريخي والفكري والسياسي، هذه الميزة التي تميز واختص بها مؤرخو القرن الخامس الهجري في سرد الأحداث، ومن بين الأمثلة التي يمكن ذكرها انتقادات ابن حزم الصارمة لغيره والانتقادات الموجهة ضده، أما النقد السياسي والتاريخي ينعكس في المواقف المختلفة التي اتخذها ابن حزم وابن حيان تجاه ملوك الطوائف (بن عبود، ص. 225).

- التراهاة والصدق والشجاعة كل هذه الصفات كانت أصيلة في شخصية أغلب مؤرخي القرن الخامس هجري، رغم أن الكثير من مؤرخي الأندلس في تلك الفترة كان يتقلب في دوايب الحكم، فوصف ابن حزم ملوك الطوائف بالاستهتار وضعف الدين، وأصبح شغلهم الشاغل جمع الأموال وبناء القصور وفرض الجزية والمكوس على رقاب الناس، يكونوا من المداهنين للحكام بل عرفوا بالتراهاة والصدق وأكسبهم عملهم في الحكم مصادر مهمة لم يكونوا ليصلوا إليها لولا احتكاكهم وتسلمهم مقاليد الحكم (إبراهيم، 1966، ص.ص. 219-220).

المستوى الثقافي لعدد من ملوك الطوائف في الأندلس ومكانة الثقافة في السياسة، أدى هذا إلى ازدهار الحياة الفكرية والثقافية، كما كان ملوك الطوائف يشجعون العلم والعلماء (ان عبود، ص. 227).

ثانيا: عصر ابن حيان القرطبي وحياته

1- عصر ابن حيان القرطبي:

قبل التطرق لحياة ابن حيان القرطبي يجدر بنا أن نلقي نظرة عن العصر الذي عاش فيه، فهي فترة عامرة بالأحداث السياسية حيث شهدت سيطرة الدولة العامرية ثم عصر الفتنة وسقوط الخلافة الأموية وقيام دول الطوائف، جميعها أحداث أثرت بلا شك في خبرته التاريخية وتركت أثارا واضحة في ثنانيا أعماله.

بعد وفاة الحكم المستنصر الذي كان عهده امتدادا لعهد أبيه عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله من استقرار وأمن وازدهار حضاري وثقافي، خلفه ابنه هشام الملقب بالمؤيد (366-399هـ -976-1008م)، كان في العاشرة من عمره، فتسنى لمحمد بن أبي عامر وهو الوصي عليه أن يصل إلى منصب الحجابة ويتحكم في السلطة، حتى لم يعد للخليفة هشام من الخلافة إلا الاسم (ابن الخطيب، 1956، ص.ص.43-44). وبذلك انتقل الحكم الفعلي إلى العامريين، كما يسميها ابن حيان الدولة العامرية، والتي انتهت بمقتل عبد الرحمن شنجول سنة (399هـ - 1008م) على يد محمد المهدي بن هشام فاتحاً باب الفتنة، وهي التي تعرف بالفتنة البربرية (القعايدة، 2007، ص.8)، دامت ثلاثة وعشرين عاما (399-422هـ / 1009-1031م) تصارعت فيها العناصر المختلفة في المجتمع الأندلسي كالبربر والصقالبة وأهل قرطبة، وخربت فيها مدن عامرة كالزهراء والزاهرة واستعان بعضهم بالنصارى على بعض، فمرت على قرطبة سنوات دامية؛ عطلت فيها بعض المساجد وهدمت فيها دور العلم التي أنشأها المستنصر، وقتل عدد كبير من مدرسيها، وبيعت كتبه التي جمعها بأبخس الأثمان. وراح ضحيتها الكثير من العلماء، وترك أكثرهم قرطبة إلى مدن الأندلس الأخرى، ومنهم من خرج إلى أقطار إسلامية أخرى كمصر وغيرها، والذي لم يغادرها لزم الصمت خوفا من الفتنة أو أصابته نوبة من الاكتئاب من هول ما جرى، كما حدث للمؤرخ ابن حيان (ت 469هـ / 1076م) الذي منعه تلك الأحداث من متابعة مجريات هذه الصراعات (زبان، 2011، ص.18). بعد سقوط الخلافة الأموية سنة (422هـ - 1031م) بعزل آخر خلفائها هشام الثالث المعتد بالله وإجلاء من تبقى من المروانية عن قرطبة وفي ذلك يقول ابن الخطيب: "ومشى البريد في الأسواق والأرباض بأن لا يبقى أحد بقرطبة من بني أمية ولا يكنفهم أحد." (ابن الخطيب، ص.ص.139-140).

نتيجة لذلك أعلن الوزير أبو الحزم جهور انتهاء رسم الخلافة جملة لعدم وجود من يستحقها وصيرورة الأمر شورى بأيدي الوزراء وصفوة الزعماء أو ما أسماه بالجماعة (العبادي، د.ت، ص.ص.254-255) وفي ذلك يقول ابن خلدون: "انقطعت الدولة الأموية من الأرض وانتشر ملك الخلافة بالمغرب، وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف وانتزى الرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات واقتسموا خطتها وتغلب بعض على بعض" (ابن خلدون، 2000، ص.200).

وقد نتج عن سقوط الدولة الأموية أن انقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة متنازعة واستقل كل أمير بناحيته وأعلن نفسه ملكا عليها، وقد انضوت هذه الدويلات الطائفية تحت لواء ثلاثة أحزاب كبيرة عمل كل منها على بسط سلطانه على الأندلس:

الحزب الأول: الأندلسيون وهم الأسر العربية والبربرية والفارسية التي استقرت في الأندلس منذ الفتح الإسلامي وانصهرت مع سكان البلاد الأصليين وبمرور الزمن صاروا أندلسيين بغض النظر عن أصلهم العربي أو المغربي أو الصقلي أو الإسباني النصراني الذي أسلم وقد عرف هؤلاء بأهل الجماعة.

الحزب الثاني: يمثلهم المغاربة أو البربر الذين دخلوا لأندلس ولاسيما الصنهاجيين الذين استقروا بها أيام المنصور بن أبي عامر.

الحزب الثالث: يمثلهم كبار الصقالبة الذين استقلوا بشرق الأندلس، وبعد سقوط الدولة الأموية تكونت من هذا الحزب الدويلات الإسلامية الصغيرة التي قامت في شرق الأندلس (العبادي، ص. 255-256).

من هذه الدويلات نذكر:

بنو عباد في إشبيلية (414-484هـ / 1023-1091م)، بنو جهور في قرطبة (421-462هـ / 1030-1069م)، بنو هود في سرقسطة (429-503هـ / 1037-1111م)، بنو زيري في غرناطة (493-438هـ / 1013-1090م)، بنو ذي النون في طليطلة (427-478هـ / 1036-1085م)، بنو حمود في مالقة (407-449هـ / 1016م - 1057م)، بنو طاهر في مدينة مرسية (429-471هـ، 1038-1078م)، بنو برزال في قرمونة (404-459هـ / 1013-1067م)، بنو يفرن في رندة (406-457هـ / 1015-1065م).

وقد اختار ابن حيان المقام في قرطبة في ظل الجهاورة، ولعل هؤلاء كانوا أقل أمراء الطوائف سوءاً، فقد نالت عاصمة الخلافة القديمة على أيديهم من الاستقرار والأمن وصالح الأحوال ما لم تنله أي إمارة أخرى من إمارات الطوائف، ولهذا فلعلها كانت خير بيئة يستطيع فيها أن يسجل أحداث عصره (ابن حيان، ص. 34).

2- حياته:

2-1 مولده ونشأته:

أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان القرطبي الأندلسي، مؤرخ الأندلس من أهل قرطبة وصاحب تاريخها، ولد في قرطبة سنة (377هـ-989م) وتوفي سنة (469هـ-1076م) كذا قرأت نسبة وولاءه بخطه (ابن بشكوال، 1989، ص. 274)، (كحالة، 1939، ص. 662)، هو أموي بالولاء كان جده حيان مولى عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) (ابن حيان، 1965، ص. 11)، ابن حيان يؤكد هذا الولاء ويفخر به ويعتبره من دلائل الشرف وكرم الأبوة (ابن حيان، ص. 8-9).

كان والده أبو القاسم خلف بن حسين بن حيان القرطبي كاتباً للمنصور بن أبي عامر، وقد توثقت علاقته به توثقاً تشهد به الحكايات الكثيرة التي رواها ابنه أبو مروان وضمناها لتاريخه للدولة العامرية، هذا ما جعل الحاجب المنصور بن أبي عامر يعينه كاتباً له في ديوان الجبايات كما كان كاتم سر المنصور الذي يوصيه بما يعرضه له من مهام، وقد ظل على ذلك في عهد حجابة عبد الملك المظفر الذي خلف أباه المنصور بعد وفاته سنة (392هـ/1002م)، ولا نعلم من أخبار خلف بن حسين بعد ذلك إلا أنه كف بصره سنة (411هـ-1021م) فلزم بيته ولم يغادره إلى أن توفي سنة (427هـ-1036م) وكانت الخلافة المروانية قد أعلن إلغائها بصفة رسمية منذ خمس سنوات (ابن حيان، ص. 11-15).

2-2 شيوخه:

تتلمذ ابن حيان على يد أبيه وعلى عدد من شيوخ الأندلس وعلمائها الكبار كالشيخ عمر بن حسين بن محمد بن نابل الأموي القرطبي (401هـ-1010م)، أبي عمر أحمد بن عبد العزيز بن فرج المعروف بابن أبي الحبحاب المصمودي (310هـ-922-923م/400هـ-1009م) أصله من البربر من مصمودة ولكنه كان ممن استقروا في الأندلس فأصبح في عداد الأندلسيين، أما ثالث هؤلاء الشيوخ فهو العالم اللغوي الشاعر المشهور صاعد بن الحسن بن عيسى الربيعي البغدادي (410هـ-1020م) الذي لزمه وأخذ عنه كتابه المسمى بالفصوص (ابن بشكوال، ص. 247).

هؤلاء هم الشيوخ الثلاثة الذين نص ابن بشكوال على أخذ ابن حيان منهم، كما تتلمذ أيضا على يد المحدث عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي المعروف بابن الفرضي (403هـ-1012م) كما قرأ على المحدث النسابة أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي يزيد المصري (410هـ-1019-1020م) (ابن حيان، ص.ص. 19-20).

ثالثا: منهجيته في الكتابة التاريخية وإسهاماته العلمية:

1- منهجيته في الكتابة التاريخية:

تميزت كتابات ابن حيان التاريخية بالسعة والدقة والتفصيل والجودة وجمال الأسلوب وبعبصيته لقوميته الأندلسية وميوله لبني أمية، فقد اعتبره معظم من ترجم له إمام المؤرخين في الأندلس، خاصة وأن نشأته الأرستقراطية وعلائق أسرته بالأوساط العليا أتاحت له حسن الاطلاع والوقوف على شؤون الدولة ودراسة مختلف التيارات السياسية، فقد شهد سقوط الدولة العامرية وضعف الخلافة الأموية ثم سقوطها وقيام دول الطوائف في بداية القرن الخامس الهجري وتولييه الوزارة لبني جهور وشهد سقوط دولتهم، فهذه الأحداث المثيرة التي مزقت وحدة الأندلس قد أذكت مخيلة ابن حيان وصقلت قلمه وأمدته بكثير من التعليقات الصائبة والملاحظات النقدية القوية التي نراها ماثلة في معظم ما كتبه عن حوادث عصره (عنان، 1970، ص. 272).

هذا بالإضافة إلى الاعتقاد أن اتجاه ابن حيان إلى كتابه التاريخ إنما تولد من شخصيته ومن دقة إحساسه ونفاذ نظرته وقدرته الطبيعية على الاستيعاب وملكته النقدية المتأملة، وقد يكون في هذا الاتجاه عرق من الوراثة يصل بين أبي مروان ووالده خلف بن حسين الذي يبدو لنا هو موجهه الأول إلى علم التاريخ (ابن حيان، ص. 21).

ويعتبر ابن حيان في طليعة المؤرخين العرب في البيان وبلاغة الأسلوب والتقصي والمجاهرة في الرأي والتحليل والتعليل للأحداث وعليه اعتمد مؤرخو الأندلس من بعده إلى يومنا هذا، ولو قدر لكتاب المقتبس بجميع أجزائه وكتاب المتين الوصول إلينا كاملين لتوفرت لدينا معلومات وافية عن تاريخ الأندلس من الفتح العربي إلى القرن الخامس الهجري (الطبي، 1997، ص.ص. 56-57).

وقد عني ابن حيان بإيراد الوثائق الرسمية الهامة للملوك والأمراء، بحيث لا نجدها في أي مصدر آخر من مصادر التاريخ الأندلسي، مثل كتاب الخليفة الناصر الأموي عن موقعة الخندق، ولعل اتصاله بملوك وأمراء عصره كبني جهور وبني عباد وبني ذي النون قد سمح له بالاطلاع على المكاتبات الحاصلة بين

الأمرء في ذلك العصر وقبله، وقد نوه في كتاباته بما كانت عليه دول الطوائف من الفساد والانحلال (أبو الخير، 2019، ص.256).

2- مكانته العلمية بين مؤرخي عصره:

إن اتساع ثقافة ابن حيان التاريخية وسعة معرفته هذه كانت ماثراً تقيّم عدد من المؤرخين والباحثين، فقد عرف به ابن بسام وقال: (كان ابن حيان بقرطبة خاتمة المتكلمين ونخبة المحسنين"، وقال " فعلى تاريخه الكبير عولت ومن خط يده أكثر ما نقلت وتحريت جهدي اقتضاب ما طول وتخفيف ما ثقل وإجمال ما شرح" (الشنتري، 1997، ص.35).

وذكره أبو علي الغساني(498هـ-1105م) ضمن شيوخه فقال أنه كان عالي الشأن قوي المعرفة مستبحراً في الآداب بارعاً فيها صاحب لواء التاريخ بالأندلس، أما ابن بشكوال فقد ذكر بأنه كان فصيح الكلام لا يعتمد الكذب فيما يكتبه من قصص وأخبار، أما الحميدي فيذكر أنه صاحب التاريخ الكبير في أخبار الأندلس وملوكها وصاحب علم وبيان وصدق الإيراد (ابن بشكوال، ص.248).

وعده ابن خلدون بعد نعته بمؤرخ الأندلس والدولة الأموية: "ممن عدل عن الإطلاق إلى التقييد، ووقف في العموم والإحاطة عن الشأو البعيد، فقيّد شوارد عصره، واستوعب أخبار أفقه وقطره، واقتصر على تاريخ دولته ومصره"(ابن خلدون، 2001، ص.7).

وهذا ما ذهب إليه الضبي صاحب بغية الملتبس، وابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان فقد أيد ما جاء في المصادر الأنفة الذكر (الضبي، 1998، ص.343) (ابن خلكان، د.ت، ص.ص. 218-219).

أما رينهارت دوزي فقد قال عنه: "...أن كتبه لو بقيت لألفت عن تاريخ الأندلس الغامض ضياء باهراً وصورته لنا أحسن تصوير لوجدنا أنها تبلغ من الامتياز مبلغاً يجعلنا نستغني بها عن غيرها من الكتب التي تتناول تاريخ هذه العصور" (بالنثيا ، د.ت، ص.212)، كما وصفه الزركلي بأنه كان مؤرخاً من أهل قرطبة، صاحب لواء التاريخ في الأندلس، أفصح الناس بالتكلم فيه وأحسنهم تنسيقاً له (الزركلي خير الدين، 2002، ص.289).

هذا بعض ما قيل في ابن حيان قديماً وحديثاً، ولم نجد في هذه الأقوال ما يحط من قدر الرجل أو ينتقص من قيمة كتاباته التاريخية في الأندلس فقد اتفقوا على مدحه والثناء على إسهامه في رسم صورة الأندلس الحضارية وحمله لواء التاريخ فيها في الحقبة التي أحاط بها في مصنفاته، ففاق بها أقرانه من المؤرخين الأندلسيين وهذا بفضل قدراته الكبيرة (ابن حيان، 2006، ص.11).

3- إسهاماته العلمية:

تتجلى لنا مكانة ابن حيان التاريخية فيما خلفه من دراسات وكتابات نفيسة ولكن للأسف أغلب هذه المؤلفات التاريخية قد ضاعت ولم يصل لنا منها إلا اليسير منها كتابه "المقتبس" وكتابه المتين الذي تذكره النصوص التاريخية على أنه أعظم كتاب تاريخي لابن حيان إذ كتبه في ستين مجلداً ضاعت جميعها ولم يبق منها إلا مقتطفات ونتف أوردتها ابن بسام الشنتري في كتابه الذخيرة كما احتفظ لنا ببعض الاقتباسات الكتاب اللاحقين كابن الأبار وابن عذارى وابن الخطيب وغيرهم (البشري، 1985-1986، ص.467).

ابن حيان في كتابه المقتبس يتناول تاريخ الأندلس من لدن افتتاحها على يد طارق بن زياد إلى زمن المؤلف (91-366هـ/711-976م) وهو مكون من عشرة أسفار، كما ذكر ذلك ابن حزم، فيسميه بالتاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس (ابن حزم، 1987، ص.184)، ولم يبق من هذا الكتاب الضخم إلا أربعة قطع: -القطعة الأولى عثر عليها ليفي بروفنسال في خزانة القرويين وتحتوي على تاريخ الأندلس من سنة (188-232هـ/803-846م) وتقع في ستين لوحة لم تنشر ولم يعثر عليها بعد وفاة ليفي بروفنسال (فهي تضم كل إمارة الحكم بن هشام الرضي (180هـ-206هـ) والشطر الأعظم من إمارة ابنه عبد الرحمن الأوسط. -القطعة الثانية فهي تلي القطعة الأولى مباشرة محفوظة بجامع القرويين بفاس وتقع في خمس وتسعين لوحة تحتوي على تاريخ الأندلس من سنة (232هـ-267هـ/846-880م) وقد قام بنشرها وتحقيقها محمود علي مكي سنة 1973م. -القطعة الثالثة هي موجودة في أكسفورد حققها المستشرق الإسباني ميلشور أنطونيا بباريس سنة (275-300هـ/888-912م).

-القطعة الرابعة وهي موجودة بالقصر الملكي بالرباط وتتناول فترة 30 سنة (299-330هـ/911-941م) من إمارة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله وقد قام بتحقيقها بدرو شالميتا بالتعاون مع فيديريكو كورينطي ومحمود صبح.

-القطعة الخامسة وهي مخطوطة صغيرة للمجمع التاريخي الملكي بمدير قام المستشرق الإسباني فرانسيسكو كوديرا باستنساخها عن أصل قديم كان محفوظا في مكتبة روثة سيدي حمودة في قسنطينة تحمل رقم 339 وقد نشر هذه القطعة في بيروت سنة (1965م) عبد الرحمن حجي وهي تعالج أحداث خمس سنوات غير كاملة من خلافة المستنصر بالله (360هـ-364هـ) (ابن حيان، 1994، ص.ص 118-120). أما كتاب المتين فهو يتألف من ستين مجلدة وقد ضاع هذا الكتاب ولكن في كتب المؤلفين التاليين لعصر ابن حيان نقولا كثيرة منه أهمها وأوفرها ما نجده في كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني ويبدأ التاريخ في المتين على ما نرجح بأحداث الفتنة البربرية التي انفجرت في الأندلس على بصير ابن حيان وبين يديه في سنة (399هـ-1008م) وينتهي قبل موت مؤرخنا بسنوات قليلة في نحو سنة (463هـ-1071م) فهذا على الأقل هو التاريخ الذي تنقطع فيه نقول ابن بسام من كتاب المتين (البشري، ص.ص. 468-469).

وقد صدر حديثاً كتاب المتين لابن حيان القرطبي (377 - 469 هـ / 987 - 1086 م) جمع ودراسة وتحقيق : الدكتور صباح إبراهيم الشخلي، والدكتور رضا هادي عباس، والدكتور عامر ممدوح خيرو عدد صفحاته 340 صفحة، منشورات دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر.

ومن مؤلفاته أيضا نجد كتاب أخبار الدولة العامرية هو يختص بتاريخ العامريين الذي تربى بينهم وشهد سقوط دولتهم (ابن حيان، 1994، ص. 56). قامت بجمعه ودراسته وتحقيقه الدكتورة هاجر بوبايا وهو عبارة عن أطروحة دكتوراه ل.م.د في تاريخ المغرب الإسلامي، مشروع العلم ومؤسساته في بلاد المغرب في العصور الوسطى بقسم التاريخ والآثار، جامعة أحمد بن بلة وهران وهذا سنة 1441هـ/2020م، حيث ذكرت في مقدمة الأطروحة أنها قامت بعملية جمع شتاته ودراسة وتحقيق محتوياته بهدف إعادة إحياء

هذا المؤلف وتسهيل مهمة الباحثين في الاستفادة من محتوياته، نظرا لما يحويه من أخبار هامة عن الدولة العامرية (بوابية، 2020، ص. 2)، وكتابه البطشة الكبرى الذي ذكره ابن بسام وابن الخطيب في كتابه أعمال الأعلام موضوعه غدر المعتمد بن عباد بحكام بني جهور واستيلاءه على مدينة قرطبة وطردهم منها (ابن حيان، ص. 65).

- كتاب انتخاب من أخبار القضاة، كتاب في تراجم الصحابة، كتاب تاريخ فقهاء قرطبة (ابن حيان، 2006، ص. 9).

رابعاً: موقف ابن حيان من ملوك الطوائف

مثّلت كتابات ابن حيان صدى العصر الذي عاش فيه، فقد انفرد بالدقة والتفصيل والجرأة الأدبية في ذكره للأحداث كما عبّرت هذه الكتابات عن عصبية لقوميته الأندلسية واعتقاده بأن الأندلس ينبغي أن تحتل مكانة من أمكنة الصدارة في العالم الإسلامي، وتشيع هذه الروح في كل كتابات ابن حيان وهو يتفق في تلك العصبية مع جيله من الكتّاب والمفكرين الذي أدركوا أواخر أيام خلافة بني مروان وعاشوا في ظل ملوك الطوائف أبرزهم صديقه أبو عامر بن شهيد وأبو محمد بن حزم صاحب الرسالة المشهورة في فضل الأندلس وهي تعتبر من أروع نماذج العصبية الفكرية للقومية الأندلسية (ابن حيان، 1994، ص. 90). هذا ما نجده لدى هؤلاء المفكرين الأندلسيين الذين ظهروا في أندلس القرن الخامس وعلى رأسهم ابن حيان وابن حزم ممن حاولوا أن يضعوا أصابعهم على موطن الداء والتعرف على الأسباب الباطنة الخفية التي أدت إلى الانهيار المفاجئ المذهل لذلك البناء العتيق الذي كان يبدو منذ سنوات قليلة نموذجاً للحكم الصالح والدولة المستنيرة، (ابن حيان، ص. ص. 90-91).

1- نقد ابن حيان للخلفاء والأمراء الأمويين:

أبرز معالم تفكير ابن حيان السياسي هو الاعتداد بالجماعة والوحدة الأندلسية التي اكتملت في ظل خلافة بني أمية ثم أطاحت بها الفتنة البربرية إلى الأبد، فقارئ تاريخ ابن حيان سواء منه المقتبس أو المتين يحس دائما بإيمان ابن حيان بقضية الوحدة الأندلسية وبالمروءة العميقة التي ولدها في نفسه انقسام عرى هذه الوحدة على عهد ملوك الطوائف، وقد كانت هذه العقيدة هي التي أملت على ابن حيان ما كتبه عن أمراء بني أمية وخلفائهم من صفحات مشبعة بالتقدير والاعجاب والثناء الخالص والحقيقة أن هذا الموقف من ابن حيان دليل على نزاهته وجرأته في الحق (ابن حيان، ص. 93)، ومثال ذلك وصف ابن حيان الخارجين على الخليفة عبد الرحمن الناصر بأنهم من الخنازير، وأن جهادهم عند أهل السنة أولى من جهاد الروم (ابن حيان، 1979، ص. ص. 372-373).

ولكن تعصب أبي مروان للأمويين لم يمنعه أبداً من نقد أمراءهم وخلفائهم حيث ما رأيهم يستحقون النقد، فقد كان يتخلل كتاب المقتبس أثناء العرض التاريخي آراء لابن حيان فيها دلالة على تمكنه من النقد ولم يقتصر على الترجمة ولا على العرض المطنب للدولة أو الشخصية السياسية، بل يعتمد على طريقة فريدة بحيث أنه يعرض محاسن المترجم له وما قيل فيه من مدح ثم يعرج إلى عرض مساوئه،

ومثال ذلك نقده للخليفة الحكم المستنصر في توليته العهد لابنه هشام المؤيد، وهو لا يزال غلاما لم يبلغ الحلم واستكثاره من استجلاب فرسان البرابرة (الشنترني، 1979، ص.40)، وكذلك مع الناصر حيث ذمه وعرض مساوئه وذكر ما كان فيه من انغماس في اللذات والتشدد في العقوبات واستهانتة في الدماء فقال: "وما كان عبد الرحمن الناصر لدين الله بالبعيد من جد جده الحكم بن هشام في انهماكه في المعاصي والتباسة بالريب وعبثه في الرعايا واستهتاره باللذات وتغليظ العقوبات وتهوينه بالدماء" (ابن حيان، ص.37).

وإذا نحنا طالعنا كتب مؤرخي العصور الوسطى سواء كانت إسلامية أو غيرها نجد أكثرها قد كتبت في ظل الرغبة أو الرهبة، فأكثر مؤرخي الأندلس قبل ابن حيان كابن عبد ربه وآل الرازي وابن القوطية وعريب بن سعد كانوا يعيشون تحت مظلة الدولة الأموية، وكانت كتاباتهم تسيرها أهواء الخلفاء والأمراء فتسجل الأحداث والوقائع التاريخية حسب ما يروق لهم ويحذف منها ما لا يوافق سياستهم أو ينسجم مع أهوائهم وميولهم، والذين خلفوا ابن حيان في عصر المرابطين كالصيرفي وفي عهد الموحدين كالبيذق والقطان كانوا هم أيضا واقعين تحت تأثير علاقتهم بملوكهم، أما ابن حيان فهو وحده تقريبا الذي استطاع أن يحطم قيود الرهبة ويخلص من التهافت على أعتاب الملوك والحكام فكان تاريخه ذخيرة قيمة نفيسة قوامها الصدق والنزاهة.

إذن فابن حيان يجمع بين الإيجابيات والسلبيات لكي تكتمل صورة الحدث أو الشخصية المترجم لها وهذا منهج فريد في النقد، فذكر الثناء مع المحاسن ثم اتباعه بالذم والمساوئ يعطينا صورة أقرب إلى الحقيقة (البشري، ص.470)، فنلاحظ أنه رغم تعصب ابن حيان للأمويين وإعجابه وتقديره لهم، إلا أنه كثيرا ما كان يتعرض لمساوئ خلفاء وأمراء بني أمية.

2- نقده لملوك الطوائف:

كان الاعتداد بالجماعة وبوحدة الأندلس التي حافظ عليها الأمويون دائما هو الذي جعل ابن حيان ينفر كل النفور من ملوك الطوائف، الذين مزقوا الخلافة، ثم لم يحسن أحد منهم الحفاظ على ما وقع في سهمه، بل أدى تفريطهم وأنانيتهم وتناحرهم الأخرق إلى تضييع ما في أيديهم وتضييع الأمة الأندلسية كلها معهم، ولهذا فقد كان ابن حيان سيء الرأي في جميع هؤلاء الملوك بغير استثناء، وأحكامه عليهم جميعا جملة وأفرادا تتسم بهذه القسوة التي لا نطن أحدا ينكرها عليه أو يستكثرها من مؤرخ نزيه جعل شعاره قول الحق مهما ألم وأغضب (ابن حيان، 1994، ص.ص.96-97).

فقد أثر ذلك في فكر ابن حيان، وجعله يتابع مصير دويلات الطوائف، ويرصد العديد من الوقائع وركز على انفراط وحدة الأندلس وتفرق ملكها إلى دويلات طائفية، واقتسامهم ألقاب الخلافة فوصفهم ابن حيان بأنهم: "أمراء الفرقة الهمل جملة الذين هم ما بين فشل ووكل" (الشنترني، ص.180).

وذكر ابن بسام أنه لم يسلم من لسان ابن حيان إلا أمير بلده أبو الحزم بن جهور وابنه أبو الوليد، فلم يعرض لذكرهما إلا بخير، وخاصة وأن قرطبة أيام بني جهور كانت أكثر أمنا واستقرارا على عكس دول الطوائف الأخرى، فقد تولى منصب إملاء الذكر في ديوان الأمير أبي الوليد وبذلك أصبح المؤرخ الرسمي لدولتهم وقد ذكر ذلك بنفسه ونقله ابن بسام، وتذكر بعض المصادر أن ابن حيان قد تقلد منصب

صاحب الشرطة (الشنتريني، ص.605). إلا أنه على الرغم مما اتسم به حكم بني جهور من ميزات حسنة لم يسلموا من نقد ابن حيان لأحد رجالهم، مما جعله يتعرض للإيذاء وكاد أن يقتله عبد الملك بن جهور، لولا تدخل أبوه أبو الوليد خوفاً من أن يقال قتلوا شيخ الأدب والمؤرخين في الوقت الذي كانت ملوك الطوائف الأخرى تداريه وتهاديه (ابن سعيد المغربي، د.ت، ص.117).

وما كتبه ابن حيان عن محنة مدينة بربشتر التي اقتحمها الأردمانيون (النورمند) في سنة (465 هـ- 1064م)، عبرت عن رأيه في ملوك الطوائف جميعاً، وعن موقف كبار القوم من أمراء وفقهاء وعدم اتعاضهم بما حدث لربشتر، فقال: "إلى أن طرق الناعي بها قرطبتنا فجأة من صدر شهر رمضان من العام، فصك الأسماء وأطار الأفئدة، وزلزل أرض الأندلس قاطبة، وسير للكل شغلا تسكع الناس في التحدث به والتساؤل عنه، وتصور لحدود مثله، إذ لم يفارق فيها عاداتهم من استبعاد الوجل والاعتثار بالأمل والإسناد إلى أمراء الفتنة الهمل... فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفهم لدينا هذين بما لا كفاية له، ولا تخلص منه. فالأمراء القاسطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريق زيادا عن الجماعة، وجريا إلى الفرقة، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم، صُدف عما أكد الله عليهم في التبيين لهم... ولقد طمى العجب من أفعال هؤلاء الأمراء أن لم يكن عندهم لهذه الحادثة النكراء في بربشتر إلا الفرع إلى حفر الخنادق، وتعلية الأسوار، وشد الأركان، وتوثيق البنيان، كاشفين لعدوهم عن السوء السواء من إلقاءهم بأيديهم إليهم..." (الشنتريني، ص.ص. 179-181).

وحدثنا عما قام به الملوك من أجل إرضاء نزواتهم وتحقيق لذاتهم إلى إثقال كاهل رعاياهم بالضرائب فانعكس ذلك الوضع على كتاباته، فوصف ذلك الوضع المتردي في مرارة واضحة (زناتي، 2012، ص.63) بقوله: "فما أقول في أرض فسد ملحها الذي هو المصلح لجميع أغذيتها؟ هل هي إلا مشفية على بوارها واستئصالها؟ ولقد طمى العجب من أفعال هؤلاء الأمراء" (الشنتريني، ص. 181).

كما رصد ابن حيان انحراف الحجاب والوزراء، واستطاع أن يلقي الضوء حول طبيعة حياة الأمراء من خلال المعاشية، وقد أشار إلى ما أصاب أهل الأندلس من نفاق وقلة وفاء وميل مع من يبقى في المنصب، كما لم يغب عنه أن يصور بعض تجاوزات الولاة وظلمهم (زناتي، ص.63)، وصور سوء الأحوال الاقتصادية المترتبة على المنازعات والحروب خاصة بين ملوك الطوائف، فذكر ما حدث بمدينة بطليوس نتيجة النزاع بين المعتضد العبادي والأفطس فقال: "وأخبرني من أثق به أن بطليوس بقيت مدة خالية الدكاكين والأسواق، من استئصال القتل لأهلها في وقعة ابن عباد هذه بفتيان أغمار إلا الشيوخ والكهول الذين أصيبوا يومئذ. فاستدلت بذلك على فشو المصيبة" (الشنتريني، ص.388).

ووصف القسوة التي استخدمت في جمع الضرائب غير الشرعية بمدينة شاطبة بكل أنواع العنف حتى تساقطت الرعية ولم تصمد في وجه هذا الظلم"، كما ذكر أن المدن التجارية المزدهرة تحولت إلى قلاع وحصون عسكرية (ابن عذارى، ص.160)، (زناتي، 2012، ص.63).

كما عبر عن حصرتة أسفه الشديد لما يجري في عصره للمسلمين، وهو خروج أمراء الطوائف عن طاعة الله ورسوله، وذكر أنه السبب للخروج عليهم، فقال: "ومن الدلائل على قَرُط جهلهم: اغتارهم بزمانهم،

وبعادهم عن طاعة خالقهم، ورفضهم وصية نبهم -عليه الصلاة والسلام- وذهولهم عن النظر في عاقبة أمرهم، وغفلتهم عن سد ثغرهم، حتى لظل عدوهم الساعي لإطفاء نورهم يتبجح عِراض ديارهم، ويستقرئ بساط بقاعهم، ويقطع كل يوم طرفاً منهم ويبعد أمة" (الشنتري، ص.189).

كما هاجم ابن حيان فقهاء عصره الذين تخلّوا عن إسداء النصيحة إلى أمرائهم، فقال: "والفقهاء أئمتهم صموت عنهم، صدوف عما أكد الله عليهم في التبیین لهم، قد أصبحوا بين آكل حلوائهم، خائض في أهوائهم، وبين مستشعر مخافتهم، أخذ بالتقية في صدقتهم" (الشنتري، ص.ص.180-181).

إلا أن رؤية ابن حيان للملوك الطوائف عرفت بعض التناقضات ويظهر ذلك واضحاً مثلاً في تقديم كتابه هدية إلى المأمون بن ذي النون ملك طليطلة فيقول في مقدمة كتابه بعد أن ذكر مسلكه في تأليفه وما ينصب عليه من أحداث: "وكننت اعتقدت الاستئثار به لنفسه، وخبأه لولدي، والضم بفوائده الجمّة على من تنكب أحمادي به إلى ذمي ومنقصتي، طويت على ذلك كشحا وأوجبته عزماً، إلى أن رأيت زفافه إلى ذي خطبة سنيه انتني على بعد الدار أكرم خاطب وأسنى ذي همه الأمير المؤئل الإمارة المأمون ذي المجدين الكريم الطرفين يحيى بن ذي النون" (الشنتري، ص.578).

ولما فشل المأمون بن ذي النون في افتتاح قرطبة واستولت عليها جنود ابن عباد وتولى حكمها ولده سراج الدولة وجه ابن حيان إلى المعتمد رسالة تهنئة يقول فيها: "لو أن فتحا اعتلى كل تهنة ممنوحة بارتفاع قدر أو جلالة صنع أو فرط انتقام مستأصل أو تنزل حكم من الرحمن فاصل لكان فتحه هذا لك على عدو أسود الكيد مظاهر البغي على الحسد طالما استحييته ..."، ثم يحمل ابن حيان بعد ذلك على المأمون بن ذي النون وينوه بتوفيق ابن عباد ويمنه في هزيمته ورد ما كيد له وذلك في عبارات ملتهبة لاذعة (الشنتري، ص.579). ولعل تخوف ابن حيان من بطش ملوك الطوائف به لأدنى سبب هو الدافع لذلك وتغيرهم فتارة يتظاهرون بالعدل وتارة تنقلب أوضاعهم .

وقد انتهر ابن بسام هذه الفرصة للحملة على ابن حيان والتنويه بمواقفه المتناقضة في تاريخه لملوك الطوائف، وفي رأيه أن هذا التاريخ بالرغم مما لقيه لدى بعض أولئك الملوك من ترحاب وتقدير وما أجزلوه عنه من صلوات فإن ابن حيان قد أخطأ التوفيق وما أصاب إذ جاءت معظم أقواله كالسهم المرسل من قد مغرض في الأحساب والأعراض وطمس لمعالم الأنوار وأنه قد ارتكب بذلك إثماً وظلماً وإن كان قد سلم من لسانه أمير بلده وأكبر أهل زمانه أبو الحزم بن جهور وابنه من بعده فقد جرى لهما بأيمن طائر ولم يعرض لذكرهما إلا بخير، ولكن ابن حيان كان مقتصدًا في ثنائه بل إنه لم يخل أمير بني جهور من بعض نقده في عدة مواضع من تاريخه (عنان، ص.274).

نلاحظ مما سبق ذكره أن العلماء شكلوا شريحة اجتماعية كانت أحياناً تتشعب وأحياناً تتحد، فيمكن لنا أن نحدد مواقف سياسية متعددة اتخذها العلماء في عهد دول الطوائف، فقد ساند بعضهم ملوك طائفيين معينين وعارضوا آخرين، كما عارض بعض العلماء جميع ملوك الطوائف، إن هذا التعدد في المواقف السياسية ظهر في الأندلس عندما طغى عليها الانفصال السياسي والانهيار الاقتصادي والاضطرابات الاجتماعية (بن عبود، ص.ص.71-72).

خاتمة:

- من خلال ما سبق ذكره يمكن استخلاص مجموعة من النتائج:
- تطوّر مختلف فروع المعرفة في الأندلس، بما فيها التّاريخ، خلال القرن 5 هـ / 11 م، بفضل التّقليد الثّقافي والفكري الأندلسي الموروث عن القرون السّابقة، كما عرفت الكتابة التاريخية في هذا القرن تطوّرًا ملحوظًا في الموضوع والمنهج والأسلوب، فقد كانوا يخضعون كلّ ما يبلغهم إلى منظار النّقد العلمي والنّظرة التحليليّة السّائدة في تلك الفترة.
 - يُعتبر ابن حيان القرطبي أعظم مؤرخ أنجبته الأندلس خلال القرن 5 هـ / 11 م، وهذا بشهادة كل من ترجم له، لما تميّزت به كتاباته التاريخية من دقّة وتفصيل وجودة... فجّل من جاء بعده اعتمد على كتاباته على الرّغم من ضياع معظمها، من بينهم ابن بسام الشنتريني الذي أورد في كتابه «الدّخيرة في محاسن أهل الجزيرة» مقتطفات ومنتقًا من كتابه المتين، إضافة إلى ابن عذاري وابن الخطيب وابن الأبار وغيرهم من العلماء.
 - وجود درجة كبيرة من النّقد في الكتب التاريخية التي ألّفها المعاصرون لعصر ملوك الطّوائف يعكس رغبة شديدة في التّعبير عن الحقيقة كما رأوها. هذا ما ميّز العلماء والمؤرّخين الأندلسيّين البارزين في القرن الخامس الهجري، مثال ذلك ما كتبه ابن حيان القرطبي، الذي كان شاهد عيانٍ على تفكّك وحدة الأندلس بسقوط الدّولة العامريّة والخلافة الأمويّة وقيام دول الطّوائف في مطلع القرن 5هـ/11 م.
 - الجماعة ووحدة الأندلس تعد القاعدة الأساسيّة التي يركّز إليها فكر ابن حيان التاريخي، وهذا ما تجسّد في موقفه من خلفاء وأمراء بني أمية. لكن، رغم تعصّبه وإعجابه وتقديره لهم، إلا أنه كثيرًا ما كان ينتقد مساوئهم.
 - اعتبر ابن حيان القرطبي ملوك الطوائف أمراء فرقة، وأنهم السّبب في تمزّق وحدة الأندلس إلى دويلات متناحرة، وذلك من خلال كتاباته التي مثّلت موقفه منهم. فرصد لنا العديد من الوقائع بعد هذا التفكّك الذي أصاب الأندلس في مختلف جوانب الحياة. فصوّر لنا ما أصبحت عليه الحياة السّياسيّة من صراع بين هؤلاء الملوك، وسوء الأحوال الاقتصادية بسبب الحروب والمنازعات، وما أصاب المجتمع الأندلسي بسبب النزاعات العرقية والطائفية، ورصد تجاوزات الولاة وظلمهم، كما هاجم فقهاء عصره الذين تخلّوا عن إسداء النّصيحة لأمرائهم الذين خرجوا عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتهانوا في حقّ المسلمين. فهذه الرؤية النقدية ما كانت لتحدث لولا ظروف عصره التي دفعته إلى ذكر ما وصل إليه حال الأندلس من انقسام وتفكّك.

الهوامش:

الفتنة البربرية: تختلف المصادر التاريخية في تحديد المسؤول المباشر عن إشعال نار فتنة القرن الخامس الهجري فمنها من يحمل مسؤولية إشعال نارها إلى البربر، ويأتي على رأس قائمة المؤرخين الذين قالوا بذلك ابن حيان القرطبي الذي يسميها بـ"فتنة البرابر" و"الفتنة البربرية الشنعاء المدلهمة، المفرقة للجماعة، الهادمة للمملكة المؤتلة المغربية الشأو على جميع ما مضى من الفتن الإسلامية"، كما يسميها ابن الخطيب بـ"الفتنة البربرية"، ومنهم من ينسبها لابن عبد الجبار حيث يقول عنه ابن حزم وفي أيامه ابتداء فساد بلاد الأندلس"، أما ابن عذاري فقال: "وهذا ما فعل السفية ابن عبد الجبار، ورأيه سبب الفساد والفتنة العظيمة الطويلة التي يسميها أهل الأندلس بالفتنة البربرية، ولو سموها بفتنة ابن عبد الجبار لكان الأحق والأولى" (الشنتري، ص.385)، (ابن الخطيب، 2003، ص.14)، (ابن عذاري، ص.50)، (بوابية، ص.36).
الأمراء الهمل: الأمراء المتكاسلون المتوانون (الشنتري، 1998، ص.117).

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- 1- ابن بشكوال. (1989). الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ج1، ط1.
- 2- ابن حزم الأندلسي. (1987). رسائل ابن حزم، تح: إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج2، ط2.
- 3- ابن حيان القرطبي. (1965). المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تح: عبد الرحمن علي حجي، بيروت: دار الثقافة.
- 4- ابن حيان القرطبي. (1979). المقتبس، تح: شالميتا ف كورينطي ومحمود صبح وغيرهما، مدريد: المعهد الإسباني للثقافة، ج5.
- 5- ابن حيان القرطبي. (1994). المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، القاهرة.
- 6- ابن حيان القرطبي. (2006). المقتبس في أخبار بلد الأندلس، شرح: صلاح الدين الهواري، بيروت: المكتبة العصرية، ط1.
- 7- ابن خاقان، أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله ابن عبد الله القيسي الإشبيلي (ت 529هـ- 1135م). (1983). مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، بيروت: دار عمار، مؤسسة الرسالة، ط1.
- 8- ابن الخطيب لسان الدين، أبو عبد الله محمد. (1956). أعمال الأعلام فيمن بوع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، بيروت - لبنان: دار المكشوف، ط2.
- 9- ابن الخطيب لسان الدين، أبو عبد الله محمد. (2003). الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: يوسف علي طويل، بيروت: دار الكتب العلمية، ج1، ط1.
- 10- ابن خلدون، عبد الرحمن (732-808هـ/ 1332-1406م). (2000). العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مر: سهيل زكار، بيروت - لبنان: دار الفكر، ج1، ج4.
- 11- ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. (د.ت). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ج2.

- 12- ابن عذارى المراكشي، (1980). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س كولان، وليفي بروفنسال، بيروت - لبنان: دار الثقافة، ج 2، ج 3، ط 2.
- 13- الحموي، ياقوت. (1993). معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تح: إحسان عباس، بيروت-لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط 1.
- 14- الحميدي، أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي. (2008). جدوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط 1.
- 15- الشنتري، ابن بسم. (1979). الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، بيروت-لبنان: دار الثقافة، ق 3/م 1، ق 1/م 1، ط 1.
- 16- الشنتري، ابن بسم. (1998). الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: سالم مصطفى البديري، بيروت: دار الكتب العلمية، ج 3، ط 1.
- 17- الضبي. (1998). بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، القاهرة-بيروت: دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني، ج 1، ط 1.
- 18- المغربي، ابن سعيد. (د.ت). المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ج 1، ط 4.
- 19- المقرئ، أحمد بن محمد. (1988). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، مج 3.
- المراجع:**
- 20- إبراهيم، زكريا. (1966). ابن حزم الأندلسي المفكر الظاهري الموسوعي، القاهرة: مكتبة مصر.
- 21- أبو الخير، بلال. (2019). صناديد الأندلس، إسطنبول: دار الخير الإسلامية، ط 1.
- 22- بالنثيا أنخيل جنثالث، (د.ت). تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، القاهرة: دار الثقافة الدينية.
- 23- البشري، سعد عبد الله. (1985-1986). الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (422-488هـ/1030-1090م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، مكة المكرمة: جامعة أم القرى.
- 24- بن عبود، أمحمد. (1987). جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، تق: محمد المنوني، المغرب: مطبعة النور.
- 25- بوباية، هاجر. (2019-2020). أخبار الدولة العامرية لابن حيان القرطبي، أطروحة دكتوراه ل.م.د، في تاريخ المغرب الإسلامي، وهران 1: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة أحمد بن بلة.
- 26- الدويدار، حسين يوسف. (1994). المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ/755-1030م)، القاهرة: مطبعة الحسين الإسلامية.
- 27- الزركلي، خير الدين. (2002). الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت-لبنان: دار العلم للملايين، ج 2، ط 15.
- 28- زناتي، أنور محمود. (2012). الثقافة الشعبية في الأندلس رصد واقعي من خلال أعمال ابن حيان القرطبي، دورية كان التاريخية، ع. 18.
- 29- زيان، علي. (2011). المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسنطينة: قسم التاريخ والآثار-جامعة منتوري.
- 30- الشيخ، محمد محمد مرسى. (1981). دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي (138-366هـ / 755-976م)، الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الاجتماعية.

- 31- الطيبي، أمين توفيق. (1997). دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، تونس: الدار العربية للكتاب، ج2.
- 32- عنان، محمد عبد الله. (1970). تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2.
- 33- كحالة، عمر رضا. (1939). معجم المؤلفين (تراجم مصنفى الكتب العربية)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1.